معركة المعنى.. حين تصبح الهُويّة مقاومة في خطاب الإمام الخامنئي

الوفاق
د. أكرم شمص

في عصرٍ تتكثّف فيه أدوات التأثير الناعم، وتتشابك فيه حدود الترفيه بالتوجيه، والخبر بالتلاعب، لم تعد مسألة الهوية شأناً أخلاقيًا أو ثقافيًا فحسب، بل باتت أحد ميادين الصراع الحضاري الأساسية. فالفضاء الرقمي بما يحمله من صور وسرديات وإيقاع متسارع، لا يهدف دائمًا إلى الإقناع بقدر ما يسعى إلى إنهاك الوعي وإضعاف القدرة على التمييز. في هذا السياق المعقّد، يكتسب خطاب قائد الثورة الاسلامية الإمام السيد علي الخامنئي في لقائه مع القائمين على مؤتمر تكريم شهداء محافظة ألبرز أهمية خاصة، بوصفه محاولة واعية لإعادة قراءة موقع الشباب في معادلة الصراع، وكسر الصورة النمطية التي تُقدَّم عن الأجيال الجديدة باعتبارها أجيالًا منقطعة عن قيمها أو منهزمة أمام سطوة الإعلام العابر للحدود.

يكتسب خطاب الإمام السيد علي الخامنئي في لقائه مع القائمين على مؤتمر تكريم شهداء محافظة ألبرز أهمية خاصة، بوصفه محاولة واعية لإعادة قراءة موقع الشباب في معادلة الصراع

تفكيك سردية «الجيل الضائع»

ينطلق خطاب الإمام الخامنئي من قلب المعركة الرمزية، رافضًا التعامل مع الشاب الإيراني بوصفه ضحية سلبية للطوفان الإعلامي، ومؤكدًا أنه فاعلٌ مقاوم داخل هذا الفضاء لا خارجه. فالإمام لا ينكر حجم الأدوات التقنية ولا كثافة التأثير، لكنه يرفض الربط التلقائي بين وفرة المحتوى والانهيار القيمي. ويقدّم في المقابل نموذجًا مضادًا لشابّ يحافظ على صلاته وشعائره وارتباطه بالمجتمع الديني رغم هذا الطوفان، لا بمعزل عنه، ما يحوّل الممارسة الدينية من عادة اجتماعية موروثة إلى فعل اختيار واعٍ وموقف وجودي في وجه التذويب. هنا تُفهم الهويّة بوصفها فعلًا متجددًا يُعاد إنتاجه يوميًا في صراع لم يعد يدور حول الأرض وحدها، بل حول الوعي والمعنى، وحول قدرة الإنسان على أن يبقى كائنًا يسأل ويختار، لا مجرد مستهلك للحظة عابرة. وبهذا المعنى، يخرج الدين من دائرة السائد إلى دائرة المقاومة الهادئة، وتتحوّل الهوية من معطى مفروض بالبيئة إلى إنجاز يُنتزع بالوعي، وكل ما يُنتزع بالوعي يكون أرسخ وأبقى مما يُمنح بالعادة.

الشهادة كفعل معنى في زمن تفكيك البوصلة

في قلب خطاب الإمام الخامنئي، تُستعاد الشهادة لا كذكرى عاطفية ولا كحدثٍ منقضٍ في سجلّ التاريخ، بل كفعل معنى يؤسّس للإنسان في لحظة قصوى من الوعي. فالإمام يرفض اختزال اندفاع الشباب إلى ساحات الخطر في انفعالٍ عابر، لأن هذا الاختزال يُفرغ التضحية من بعدها الأخلاقي والعقلي، ويحوّلها إلى مجرّد حالة وجدانية قابلة للاستهلاك. فالشهادة، في هذا الفهم، ليست موتًا مجيدًا فحسب، بل حياة مكثّفة تتقدّم فيها القيم على الغرائز، والواجب على الراحة، والاختيار الحر على الأمان المضمون؛ وهي لحظة التقاء الشوق إلى الله مع الإحساس بالتكليف، والوعي بوجود عدو يتربّص بالأرض والذاكرة والهوية. ومن هنا خطورتها وقوّتها معًا، لأنها تكشف قدرة الإنسان على تجاوز ذاته حين يمتلك بوصلة المعنى. لذلك، فإن إحياء ذكرى الشهداء لا يُفهم كطقسٍ لتكريم الماضي، بل كمعركة ضد الفراغ المعنوي في الحاضر والمستقبل؛ فالذاكرة إن لم تتحوّل إلى وعي تصبح عبئًا، وإن لم تُقدَّم بلغة حيّة تفقد قدرتها على الإنجاب. وفي زمنٍ تُخاض فيه الحروب بتفكيك الأسئلة الكبرى وإرهاق الوعي لا بالسلاح وحده، تتحوّل الشهادة إلى آخر خطوط الدفاع عن الإنسان بوصفه كائنًا حرًّا قادرًا على التمييز، لا نسخة قابلة للاستبدال في عالم يريد للثبات أن يبدو تخلّفًا، وللهوية أن تُصوَّر عبئًا، وللمعنى أن يُمحى بصمت.

من إحياء الذكرى إلى صناعة الأثر

الذاكرة، في منطق هذا الخطاب، ليست محفوظات تُتلى ولا صورًا تُعلّق ولا أسماءً تُكرّر، بل طاقة حيّة إمّا أن تتحوّل إلى وعي فاعل، أو تنقلب عبئًا فاقد الأثر. من هنا، لا يُفهم إحياء ذكرى الشهداء بوصفه فعل حنين إلى الماضي، بل كفعل مقاومة ضد النسيان المصنَّع؛ ذلك النسيان الذي لا تصنعه الأيام، بل تُنتجه منظومات ثقافية تهدف إلى تفريغ الأفعال الكبرى من قدرتها على الإلهام وتحويل البطولات إلى قصص منتهية الصلاحية. وفي هذا السياق، يقدّم الإمام الخامنئي نقدًا هادئًا وعميقًا لإدارة العمل الثقافي، مؤكدًا أن إقامة المراسم، وإنتاج الكتب، وصناعة الأفلام، لا تكفي بذاتها، ما لم تُستكمل بمرحلة المتابعة والتقديم الفني وضمان الوصول والتلقّي، لأن القيمة الحقيقية لأي جهد ثقافي لا تُقاس بنيّته، بل بقدرته على التأثير والاستمرار. هكذا يتحوّل العمل الثقافي من نشاط مناسباتي إلى معركة وعي متكاملة.

الشباب والوعي بالعدو.. من الدفاع إلى الاستباق

في هذا الأفق، تتجلّى إحدى أهم أطروحات الخطاب: المشكلة ليست في الشباب، بل في الخطاب الموجَّه إليهم. فالشباب ليسوا فراغًا قيميًا ولا كتلة خاملة، بل طاقة مستعدّة، غير أن هذه الطاقة إذا لم تجد لغة صادقة تؤطّرها، قد تتبدّد أو تُستثمر ضد ذاتها. لذلك، يبرز التحذير من أخطر أشكال التهديد، وهو القطيعة الداخلية بين القيم ولغتها، بين الذاكرة ومن يُفترض أن يرثها. ويشدّد الخطاب على أن أعظم أشكال المقاومة اليوم ليست صاخبة، بل صامتة وعميقة: شابّ يحافظ على صلاته في زمن التشويش، شابة تتمسّك بعفافها في ثقافة الاستباحة، طالب يقرأ في عصر الصورة السريعة. هذه الأفعال، رغم بساطتها الظاهرة، هي مواقف وجودية تعبّر عن وعي متقدّم بالمسؤولية، وعن انتقال من الدفاع إلى الاستباق في مواجهة من يتربّص بالوطن والثقافة والتاريخ، لأن الفراغ لا يبقى فارغًا، بل تملؤه سرديات مضادّة تُفرغ الانتماء من مضمونه إن لم يُحصَّن بالمعنى.

البوصلة ما تزال حاضرة

يخطئ من يظنّ أن الأجيال الجديدة فقدت بوصلتها؛ فالبوصلة ما تزال حاضرة، لكن الخرائط مشوَّشة. الشباب ليسوا فراغًا قيميًا، بل إمكانية مفتوحة، غير أن هذه الإمكانية حين لا تجد خطابًا صادقًا يُحسن مخاطبتها، تتحوّل إلى طاقة مهدورة أو تُستثمر ضد ذاتها. وحين يُخاطَب الجيل بلغة ميتة، يُتَّهم بالموت، وحين يُطالَب بالحمل دون أن يُمنح المعنى، يُتَّهم بالتخلّي. لذلك لا يتردّد خطاب الإمام الخامنئي في الإشارة إلى تقصير بعض المؤسسات الثقافية والرسمية، مؤكدًا أن الخلل لا يكمن في استعداد الشباب، بل في ضعف الخطاب الموجَّه إليهم أو انفصاله عن لغتهم وواقعهم. إنه نقد إصلاحي واضح يدعو إلى تجاوز منطق الشعارات نحو مشروع واعٍ لتبيين القيم التي صنعت تجربة الشهادة، بلغة مفهومة وقادرة على الإقناع والتأثير.

الهُويّة الدينية كإنجاز يومي

في هذا السياق، تُعاد صياغة الهوية بوصفها إنجازًا يوميًا لا ميراثًا جاهزًا. فالهوية لم تعد ما نولد به، بل ما نختاره أن نحمله رغم التيارات الجارفة، موقفًا يُدفع ثمنه بالوعي والصبر لا بالعادة. الثبات هنا ليس جمودًا ولا انغلاقًا، بل يقظة دائمة ومعيار داخلي يمنع الذوبان في عالم يعيد تعريف القيم وفق منطق السوق والصورة. ومن أكثر مقاطع الخطاب دلالة توصيف الشاب الذي يحافظ على عبادته في هذا العصر بأنه يحمي هويته ويعزّزها، لأن هذا الفعل لم يعد تكرارًا اجتماعيًا، بل اختيارًا واعيًا في وجه التذويب. هكذا تتحوّل الهوية الدينية إلى جهد مستمر يتطلّب وعيًا ومثابرة، ويغدو تقدير هذا الجهد واجبًا ثقافيًا وسياسيًا، لا مجرّد ثناء أخلاقي عابر.

خاتمة: معركة الوعي لم تُحسم بعد

حين تُهزم الجيوش يمكن إعادة بنائها، وحين تُدمَّر المدن يمكن ترميمها، لكن حين يُهزم المعنى يسقط كل شيء بلا صوت؛ فالمجتمعات التي تحتفظ بمعناها، حتى وهي محاصَرة، تمتلك مستقبلًا، بينما تلك التي تفقده، ولو امتلكت كل أدوات القوة، تعيش فراغًا مؤجّلًا. من هنا، لا يطرح خطاب الإمام الخامنئي سؤال الانتصار بوصفه معادلة عسكرية أو سياسية فحسب، بل يعيد صياغته كسؤال وجودي: كيف نبقى نحن في عالم يريدنا نسخة بلا روح؟ ليس تفاؤلًا إنكاريًا يتجاهل الأزمات والضغوط والاختلالات الواقعية، ولا تفاؤلًا عاطفيًا يقوم على الأمنيات أو الشعارات، بل تفاؤل واعٍ بالثمن، ومدرك لحجم التحديات وتعقيد الصراع. أي أنه تفاؤل يعرف أن معركة الوعي طويلة، ويُدرك وجود حرب ناعمة ممنهجة، ويعترف بإمكان الفشل والانكسار إن أُهملت الشروط. لكنها تراهن في المقابل على استعدادات حيّة وطاقة شبابية قادرة على حمل المشروع إذا أُحسن توجيهها. فالتحدّي الحقيقي لا يكمن في مواجهة العدو الخارجي وحده، بل في نقل المعنى، وصيانة الذاكرة، وتحويل القيم من تراث محفوظ إلى وعي فاعل يقود المستقبل. في هذا السياق، يغدو الحفاظ على الهوية الدينية للشباب مسألة سيادية بامتياز، لأن المجتمع الذي يحتفظ بمعياره الأخلاقي والروحي لا يُهزم بسهولة. وهنا تحديدًا يصبح الشابّ — لا بوصفه عمرًا، بل وعيًا — ساحة الصراع ومفتاح الخلاص، وحامل الأفق الأخير في معركة لم تُحسم بعد.

وزعيم أنصارالله يدين جريمة أميركا ويدعو لمظاهرات حاشدة

غضب يمني واسع نصرةً للقرآن الكريم

عمّت المحافظات اليمنية الحرة، الأربعاء، حراكاً شعبياً وأكاديمياً وطلابياً، واسعاً اتّسم بزخم الغضب والسخط والعنفوان، رفضاً للإساءات الأمريكية الصهيونية المتكررة للقرآن الكريم، وآخرها الإساءة السافرة التي ارتكبها أحد المرشحين الأمريكيين خلال حملته الانتخابية، في مشهد يؤكد استمرار الحرب الناعمة التي تستهدف مقدسات الأمة وهويتها الإيمانية.

في التفاصيل، خرج منتسبو جامعة صنعاء في مسيرة حاشدة بعنوان «رفضاً للإساءات الأمريكية الصهيونية للقرآن الكريم»، عبّر المشاركون فيها عن موقف يمني ثابت لا يساوم في نصرة كتاب الله، مؤكدين أن هذه الجرائم ليست حوادث معزولة، بل تأتي ضمن سياق عدواني منظم يستهدف الأمة في عقيدتها وثوابتها.

وأكد بيان المسيرة إعلان تحرك قوي وواعٍ لمواجهة الحرب الصهيونية بأشكالها كافة، صلبة كانت أم ناعمة، محذّراً من خطورة الصمت والتخاذل إزاء هذه الجرائم، واعتباره تفريطاً يمس كرامة الأمة ودينها. ودعا البيان الشعوب والنخب، وفي المقدمة الجامعات، إلى التعبير عن سخطها ورفضها القاطع لهذه الإساءات، وتعزيز الارتباط العملي والوجداني بالقرآن الكريم. وشدّد البيان على ضرورة أن يكون الشعب اليمني في أعلى درجات الاستعداد النفسي والمعنوي والجهادي لإفشال كل المؤامرات، مؤكداً الجهوزية الكاملة إلى جانب الجيش في الجولة القادمة من الصراع مع قوى الاستكبار العالمي، وفاءً للموقف الإيماني واستجابةً لتوجيهات قائد حركة أنصار الله السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي.

مسيرات في محافظة إب

وفي محافظة إب، أفادت وسائل إعلام محلية بخروج مسيرات ووقفات حاشدة في جامعة إب وعدد من الجامعات والكليات والمعاهد، إضافة إلى الأكاديمية العليا للقرآن الكريم، تنديداً بالإساءة الأمريكية للقرآن الكريم. وأكدت البيانات الصادرة عن هذه الفعاليات التمسك الكامل والثابت بكتاب الله، واعتبار الإساءة إليه اعتداءً مباشراً على الأمة الإسلامية جمعاء، مع تحميل أمريكا وبريطانيا والعدو الإسرائيلي المسؤولية الكاملة عن هذه الجرائم. وأعلنت المسيرات في إب استمرارها في اتخاذ كل المواقف العملية المشروعة، وفي مقدمتها مسار المقاطعة الاقتصادية للبضائع الأمريكية و"الإسرائيلية"، باعتبارها أداة ضغط شعبية تعكس الوعي والمسؤولية.

مظاهرات في عدّة محافظات يمنية

وفي محافظة صعدة، خرجت ثلاث مسيرات طلابية في مدن صعدة والنضير وشعارة، انتصاراً للقرآن الكريم وتنديداً بالإساءة الأمريكية، حيث دعت بيانات الطلاب إلى توسيع دائرة السخط الشعبي في أوساط شعوب الأمة ضد الصهيونية ومشاريعها العدوانية.

كما شهدت محافظة حجة مسيرات طلابية حاشدة في عموم المديريات، أكدت في بياناتها التمسك بكتاب الله كمقدس من مقدسات الإسلام، واعتبار الإساءة إليه عدواناً على شعوب الأمة كافة.

وفي تعز، خرجت مسيرات ووقفات طلابية واسعة في الجامعات والكليات، أدانت الجريمة الأمريكية بحق القرآن الكريم، وجدّدت الموقف الإيماني المساند لفلسطين، محمّلة أمريكا والعدو الصهيوني كامل المسؤولية. وفي الجوف، نظّم طلاب كلية التربية مسيرة حاشدة تنديداً بالإساءة الأمريكية للقرآن الكريم، إلى جانب وقفات طلابية في المدارس الحكومية، في مشهد يعكس اتساع رقعة الغضب الشعبي وعمق الوعي لدى الأجيال الصاعدة.

وفي محافظة الحديدة، نظم منتسبو جامعة الحديدة وعدد من الكليات الخاصة مسيرة غاضبة، عبّروا فيها عن إدانتهم الشديدة للإساءة الأمريكية للقرآن الكريم، مؤكدين أن هذه الجريمة تمثل اعتداءً سافراً على الإسلام ومقدساته. كما هو الحال في محافظة الضالع نظم منتسبو جامعة الضالع مسيرة غاضبة ضد الإساءة الأمريكية للقرآن الكريم، وتوعدوا خلالها بخوض معركة الخلاص المحتومة من قوى البغي والعدوان الشيطانية، والانتصار للمجتمع البشري ومقدساته.

الثبات على الموقف الإيماني المساند للشعب الفلسطيني

كما شهدت صنعاء وقفة لمنتسبي الأكاديمية العليا للقرآن الكريم، أكدوا خلالها الثبات على الموقف الإيماني المساند للشعب الفلسطيني، ورفضهم القاطع لأي مساس بمقدسات الأمة.

وفي محافظات ذمار وريمة والمحويت، ومأرب، وعمران، والبيضاء، خرجت مسيرات حاشدة لطلاب كليات ومعاهد الجامعات الحكومية والخاصة والمدارس تنديدا بالإساءة للقرآن الكريم، واستجابة لدعوة السيد القائد، مجددة إعلان الجهوزية القصوى لخوض المعركة الميدانية من الجولة الثانية في مواجهة قوى البغي والاستكبار العالمي، والانتصار للأمة والإنسانية والمجتمع البشري.

ويؤكد هذا الحراك الواسع أن اليمن، شعباً وقيادة ومؤسسات، يقف صفاً واحداً في الدفاع عن القرآن الكريم ومقدسات الأمة، وأن محاولات الاستفزاز والإساءة لن تزيده إلا ثباتاً واستعداداً لمواجهة قوى الاستكبار العالمي، والمضي قدماً في معركة الوعي والكرامة حتى الانتصار. وسبق أن أقدّم المجرم الحقير المدعو "جيك لانغ" المرشح عن الحزب الجمهوري لمقعد مجلس الشيوخ في ولاية "فلوريدا" على وضع نسخة من المصحف الشريف في فمِ خنزير، قبل ٣ أيام، خلال تظاهرة معادية للإسلام بمدينة "بلانو" في مقاطعة "كولين" بولاية "تكساس" الأمريكية.

السيد الحوثي يدعو لمظاهرات كبرى

وكان زعيم حركة أنصارالله اليمنية السيد عبدالملك بدرالدين الحوثي قد أدان مساء الثلاثاء، إساءة مرشح أمريكي للانتخابات للقرآن الكريم.

وأصدر السيد عبدالملك بدرالدين بيانًا حول الإساءة الأمريكية الجديدة للقرآن الكريم وأوضح أن الإساءة إلى أقدس المقدسات الدينية على وجه الأرض تأتي في إطار الحرب اليهودية الصهيونية المستمرة، التي تجندت لها الولايات المتحدة وبريطانيا والعدو الصهيوني.

ولفت إلى أن حقد اليهود الصهاينة وأتباعهم يكشف ظلماتهم، في حين أن القرآن الكريم يحصّن المهتدين به من ضلالهم وفسادهم، وهو الكفيل بإنقاذ المجتمع البشري من طغيانهم واستعبادهم.

واعتبر السيد القائد أن مقابلة ما يرتكبه الأعداء الكافرون الضالون من إساءات واعتداءات وحرب شاملة ضد الإسلام والمسلمين بالصمت وعدم اتخاذ أي موقف يُعد تفريطًا عظيمًا.

ودعا السيد القائد الشعب اليمني إلى إعلان موقفه تجاه هذه الإساءات للقرآن الكريم والمقدسات، عبر تحرك واسع يبدأ من الجامعات والمدارس، وفعاليات متنوعة تتصدرها أنشطة لعلماء الدين الإسلامي.

كما دعا إلى الخروج في مظاهرات كبرى يوم الجمعة القادم، تعبيرًا عن الهوية الإيمانية للشعب اليمني، ورفضًا للمواقف الأمريكية والصهيونية المسيئة للقرآن الكريم.